الأحد قبل عيد رفع الصليب

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

ياأحباء، نحن في هذا الأحد على باب تقدمة عيد ميلاد السيدة العذراء، الذي نعيّد له كلّ سنة في الثامن من أيلول، وفي الأحد المقبل في الرابع عشر من أيلول، سنعّيد لعيد الصليب الكريم كما نعرف. ولهذا اختار الآباء القدّيسون أن يُتلى في الأحد الذي يسبق أحد الصليب في كل عام مقطع من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل غلاطية، الذي سمعناه في هذا القداس صباحاً، ومقطع آخر من إنجيل يوحنا، وفي هذين المقطعين يمّر ذكر الصليب الكريم.

يقول الرسول بولس:" انظروا يا أخوتي ما أعظم الكتابات التي كتبتها لكم بيدي، إن الذين يريدون أن يُرضوا بحسب الجسد يلزمونكم أن تختتنوا.... أما انا فحاشى لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صُلب العالم لي وأنا صُلبت للعالم، لأنه في المسيح يسوع ليس الختان بشيء ولا القلف بل الخليقة الجديدة، وكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون فعليهم سلام ورحمة".

هذا المقطع يتكلم عن الصليب، والكنيسة تريد - وقبل عيد الصليب كما نفعل في كل عيد - أن تدخلنا إلى عمق معنى عيد الصليب الذي نحن وافدون إليه.

لاحظوا هنا، لذلك توقفت عندها قليلاً وأنا أقرأ، يقول الرسول:" ياإخوة إن الذين يريدون أن يُرضوا بحسب الجسد،" وأنا سأتوقف هنا قليلاً، ومن ثم سأتكلم عن الصليب.

هناك قسم من الشعب يريدون أن يُرضوا بحسب الجسد، وأما أن فحاشى لي أن أفتخرإلا بصليب ربنا يسوع المسيح، أي وكأنه توجد فئتان: الأولى تريد أن ترضي نفسها وربها، ولكن تفكيرها يختص في أمور معينة كالجسد، ويذكرها الرسول بولس مثل الختان. وأحياناً كثيرة نحن ندغدغ ضميرنا وندغدغ وجداننا. انه إذا حفظنا الناموس، يريدون أن تختتنوا، أي: تحفظوا الناموس. أحياناً كثيرة نعم، باسم الناموس، وباسم الوصايا، والتعاليم الروحية، وباسم الصلاة، وعمل الإحسان، وباسم كل من هذه الأسماء الصالحة، الواحد منا يتستّر ويختبىء وراء هذه الأمور التي قد تكون حسنة بحد ذاتها ويرضي نفسه ويقول نشكر الله انا أطبق الوصايا ولا ينقصني شيء. ولكن الرسول يقول لأن الذين يطبقون الناموس" يختتنون" هم أنفسهم لا يحفظون الناموس بل يريدون أن يختتنوا ليفتخروا بأجسادهم. احياناً كثيرة نحاول ان نطبق وصايا الله والناموس ولكن يوجد مشاعر اخرى في داخلنا كي نفتخر ونعتد بأنفسنا في بعض الاحيان، من حيث يدري الإنسان أو من حيث لايدري، ولهذا الرسول اليوم يذكّرنا بعمق رسالتنا وإيماننا، وإيماننا هذا هو أكثر بكثير من مجرد جمل نحفظها غيباً، أو وصايا نحاول أن نتمّمها من حيث

الظاهر، أو لباس معين، أو طعام معين، الإيمان أكثر بكثير من ذلك، كل ما ذكرت جيد وحسن، وأنا لا أقول أن نتركه، ولكن أقول إن اكتفى الإنسان به فينطبق عليه قول الكتاب المقدّس:" الحرف يقتل والروح يحيي"، ولهذ يذكرنا الرسول بولس اليوم قبل أسبوع من عيد الصليب بالبعد العميق والحقيقي للصليب، يقول: انا لا أفتخر بأي شيء في هذه الدنيا بل أفتخر بشيء واحد ألا وهو صليب ربنا يسوع المسيح, كلمة كبيرة جداً انا أضع أمامي فقط الصليب المكرّم أنظر إلى الصليب فماذا أرى؟، أرى على الصليب المصلوب، وعندما أرى هذا المصلوب وأعرف بأنه الإله الذي تواضع وتنازل من أجلنا ولأجل خلاصنا وبسبب خطايانا، أتطلع إلى الصليب، وأرى هذا المصلوب العريان، والموضوع على رأسه إكليل الشوك، والموضوعة في يديه المسامير، والمطعون جنبه بالحربة، وعندما أرى هذا المصلوب النازف الدم بسبب خطاياي لأجل خلاصي، ماذا أفعل؟ لايسعني آنذاك إلا أن أنسحق، إلا أن أكتشف محبة هذا المصلوب الذي يميت نفسه من أجلي لكي يشتريني بدمه الكريم، وهو الإله المحب والديان بالوقت ذاته. فأنا أتعلق به وأحيا له وأعطيه حياتي، أنظر إلى المصلوب وماذا أرى أيضاً؟ نرى المصلوب المطعون والمبجّن، ولكن منذ أن نزل المسيح عن الصليب، ومن حينها نرى عود الصليب والمصلوب ليس عليه، وبالتالي أنظر إلى المصلوب وأرى الذي قام من على الصليب فلا أرى المصلوب المـتألم المتوجع الذي ينزف دمه، لكني أرى المصلوب المنتصر الظافر الذي داس الموت والذي قام من بين الأموات. أنظر إلى الصليب فأرى هذا السر الإلهي الخلاصي سر الصليب. ولهذا صار سر الصليب يلخّص كل إيماننا المسيحي، ولهذا نحن نضع الصليب في كنائسنا، ولهذا نرسم إشارة الصليب على صدورنا وفي بيوتنا لأننا عندما ننظر إلى الصليب ندرك هذا السر الذي لايمكن أن يدرك في عقل بشري، إن هذا السيد وافانا، وارتضى أن يرتفع على الصليب، وطُعن، وضُرب، ومات كإنسان، ولكنه كإله داس الموت، وقام من على الصليب وصار الصليب دون الجسد المصلوب لأن المصلوب قد قام لكي يجعلنا أبناء القيامة ويجعل قيامته هي عربون قيامة كل واحد منا. ولهذا ياأحباء تلاحظون أن الرسول بولس يقول أنه لا الختان بشيء ولا القلف بشيء بل الخليقة الجديدة هي الكل في الكل، ماهي الخليقة الجديدة؟ إنها المسيح الجديد، ونحن نتكلم عن آدم العتيق وعن آدم الجديد، آدم العتيق هو آدم الذي سقط وآدم الثاني الجديد هو الرب يسوع، وكلنا ندخل في هذه الجدّة في جدّة الحياة عندما نغطّس في جرن المعمودية باسم الآب والإبن والروح القدس، فنصبح ممهورين في مهر الروح القدس آخذين الحياة التي في المسيح يسوع مرتلين:" أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم المسيح قد لبستم".

نعم نصبح خليقة جديدة ولهذا أنا مطلوب مني أن أكون خليقة جديدة، الناموس والوصايا، الإحسان وعمل البر والخير والصلاة والصوم وقراءة الكتاب المقدس، ونذكر كل هذا لأن الله أعطانا هذه كلها لكي تكون سلاح يقوينا ويدفعنا لأن نصبح خليقة جديدة مسسيحاً جديداً كذاك الذي ننظر إليه على الصليب الذي يحتمل الألم والذي يحتمل الشدة ولكنه يقوم ظافراً وتكون نهاية حياته القيامة والنور والخلاص والملكوت. نعم مطلوب منا أن نصبح الخليقة الجديدة فلنتذكر هذا يا أحباء، ولهذا أختم كلامي قائلاً عندما أنظر إلى الصليب ماذا أرى؟ أرى نعمة الله المخلّصة تلك النعمة التي تميت وتحرق أهوائي كالنار وضعفاتي وسقطاتي، أرى نعمة الله تلك التي تقويني لأنهض كي أتبدل من عتاقتي إلى جدّة الحياة في المسيح يسوع، هذه هي نعمة الصليب هو أكثر من أنه مجرد حركة نصنعها أو كلمة نلفظها، إنه نعمة الله المخلصة والمطهّرة والمقدسة لأننا نشترك في هذه النعمة لأن الذي صُلب على الصليب والذي قام من على الصليب هو الذي أعطانا هذه النعمة حتى نصبح أبناءً جدداً وحتى نصبح خليقة جديدة كما يريد هو أن نكون.

الرب يعطينا أن نكون بالفعل بنعمة الله والصليب أن نتحول إلى أشخاص جدد وأن ندرك المعنى الحقيقي لعيد الصليب الذي سنعّيد له الأسبوع القادم، نعمة الرب يسوع تقوينا وتبارك حياتنا له المجد إلى الأبد آمين.